استنخال الملامح العروضيّة من شرح ابن عاشور على ديوان النابغة الذبياني

عمر علي البارواني – جامعة مصراتة – ليبيا o.albarouni@edu.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:

الشعر ديوان العرب ومرآة تعكس واقع حياتهم، وملاذًا للمكروب والمسرور، تُصب فيه الأشجان، وتُودع فيه الآهات والأحزان، وهذا البحث يركز على ديوان الشاعر النابغة الذبياني بشرح العلامة ابن عاشور، يغوص في تعليقات الشارح، لأستخرج منها بعض الدرر العروضية التي ذكرها ابن عاشور في هذه التعليقات؛ فاستخرجتها وجمعتها في طي صفحات هذا البحث، والديوان حافل بكثير من الملامح العروضية؛ غير أنني سأقتصر منها على ما علق عليه ابن عاشور؛ وقد سميت هذا العمل باسم: (استنخال الملامح العروضية من شرح ابن عاشور على ديوان النابغة الذبياني)، واحتوى على ثلاثة مباحث؛ أولها للتعريف بالشاعر وبالشارح، وثانيها لذكر مواضع الزحافات والعلل العروضية، وثالثها لذكر مواضع عيوب القافية، ثم تلي ذلك خاتمة لأهم نتائج البحث.

Résumé :

La poésie est le divan des Arabes et le miroir qui reflète la réalité de leurs vies. Elle considère comme un refuge pour le malheureux et l'heureux où on y déverse les émouvants et y dépose les complaintes et les chagrins. Cet article porte sur le recueil du poète Al-Nabegha Al-Dhubiani expliqué par Ibn Ashour en engageant dans ses commentaires pour en extraire certaines prosodies mentionnées par Ibn Ashour. L'intitulé de ce travail est : (extraire les caractéristiques prosodiques du commentaire d'Ibn Ashour sur le recueil d'Al-Nabegha Al-Dhubiani). Cette étude porte sur trois questions : la première est consacrée à présenter le poète et le critique. La deuxième cherche à mentionner les emplacements des défauts prosodiques et la troisième essaye à signaler les inconvénients de la rime, suivi d'une conclusion sur les principaux résultats de la recherche.

مقدمة

الشعر العربي منبع من منابع العطاء الحسي الشعوري، فبه تُخرج مكنونات الصدور، وبه تبوح الأنفس عما بداخلها من خلجات الحبور والسرور، وهو ميدان له فرسانه؛ فلا يستطيعه إلا من أحكم امتطاء صهوات جياده، وهو فن واسع الحلبة، فمن ظل بداخلها كان من مبدعيه، ومن خرج عن حدودها هوت به قدم جواده؛ فكثر عليه اللوم من نقاده وحساده؛ لذا يُنتقد بعض الشعراء بسبب خروج بعض استعمالاتها عن الطريق المألوف، ومن هنا كان لا بد لهذا الفن من قوانين تحكمه، وبها يوزن قول من ينظمه.

وقد رأيت في ديوان النابغة بشرح العلامة ابن عاشور بعض المواضع العروضية التي ذكرها ابن عاشور في تعليقاته؛ فتلمست هذه المواضع لجمعها في هذه الصفحات، وهذا لا يعني عدم وجود غير ما ذكره ابن عاشور؛ بل في الديوان كثيرٌ من الملامح؛ لكنني سأكتفي بما علق عليه ابن عاشور؛ فجاء عنوان البحث باسم: (استنخال الملامح العروضية من شرح ابن عاشور على ديوان النابغة الذبياني). وقد احتوى البحث- بعد المقدمة- على ثلاثة مباحث؛ أولها للتعريف بالنابغة الذبياني وبابن عاشور، وثانيها للزحافات والعلل في الديوان، وثالثها لعيوب القافية في الديوان، ثم أعقبتها بخاتمة لذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وبفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

المطلب الأول (التعريف بالنابغة الذبياني)[1]:

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا أمامة، أو أبا ثمامة. وسبب تلقيبه بالنابغة بيته الذي يقول فيه:

وَحَلَلْتُ فِي بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَبْرٍ ** فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مِنَّا شَؤُونُ

(1) ينظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت)، 51/1، والشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1423ه، 156/1، 162، والأغاني، تأليف: أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط(2)، (د.ت)، 5/11- 8، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول- تركيا، 2010م، 353/5، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(4)، 1418ه- 1997م، 135/2، والأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط(15)، 2002م، 54/3- 55.

وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء، ويعد أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم، وكان الشعراء يحتكمون إليه، وكانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فيأتيه الشعراء فيعرضون عليه أشعارهم، وكان أول من أنشده الأعشى، ثم حسان بن ثابت، ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد. كانت وفاته نحو (18) قبل الهجرة.

المطلب الثاني (التعريف بابن عاشور)[2]:

اسمه: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور. الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية.

مولده: ولد بتونس سنة (1296هـ/1879م).

حياته ونشأته: بدأ ابن عاشور تعليمه في الكتاتيب حتى أتقن حفظ القرآن الكريم، ثم تعلم شيئًا من اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة في سنة (1310هـ/1892م)، واستمر في طلب العلم حتى وصل إلى ما وصل إليه. ودرس العلوم العربية، وشرح ديوان الحماسة الذي أبدى فيه ضلاعة في اللغة والنقد وسمو الذوق وحاز به شهرة، حتى لقب بكثير من الألقاب، وحاز كثيرًا من المناصب، منها: شيخ الإسلام المالكي، ومنصب شيخ جامع الزيتونة، وعميدًا لجامعة الزيتونة، وقاضيًا مالكيًّا للجماعة، وكان من أعضاء المجمعين في دمشق والقاهرة. واشتهر بالصبر وقوة الاحتمال وعلو الهمة والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث والترفع عن الدنايا. قام برحلات إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وإلى أوروبا، وإستانبول للمشاركة في مؤتمر المستشرقين سنة (1951م).

شيوخه: أخذ بجامع الزيتونة على جماعة من العلماء، منهم: إبراهيم المارغني، وسالم بو حاجب، وعمر بن الشيخ، ومحمد النجار، ومحمد النخلي، ومحمد بن يوسف.

تلاميذه: لقد خلّف ابن عاشور تلاميذ ذوي شهرة واسعة، منهم: حمد بيرم الخامس، ويوسف بن أحمد جعيط، وزين العابدين بن حسين، وأحمد المعروف بحميدة بن الخوجة، ومحمد الصادق الشطي الشريف المساكني، وأبو الحسن بن شعبان، وعمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ، ومحمد العزيز بن محمد بوعتور، ومحمد

([2]) ينظر في ترجمته: الأعلام 174/6، وتراجم المؤلفين التونسيين، تأليف: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط(2)، 1994م، 304/3- 309، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، وبذيله: عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، تأليف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط)، 1427ه- 2006م، 1262/2- 1264.

أما تلاميذه فنظرًا لكثرة الصفحات التي ذكروا فيها في كتاب (تراجم المؤلفين التونسيين) فينظر تتلمذهم عليه حسب ترتيب ورودهم في المصدر المذكور: 143/1، 42/2، 136، 244، 196/3، 198، 213- 214، 355، 291/4، 16/5، 67.

بن خليفة المشهور بالمدني أو المداني، ومحمد بن عثمان بن محمد النجار، ومحمد البشير النيفر، علي بن الخوجة الشهير بالحاج علي.

مؤلفاته: ترك العلامة ابن عاشور كثيرًا من الأعمال العلمية، وفي فنون مختلفة، منها: أصول الإنشاء والخطابة. أصول التقدم في الإسلام. أليس الصبح بقريب. أمالٍ على دلائل الاعجاز. أمالٍ على مختصر خليل. التحرير والتنوير تفسير القرآن الكريم. تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدمة في النحو. تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي. حاشية على التنقيح للقرافي في أصول الفقه سمي التوضيح والتصحيح. شرح ديوان الحماسة. شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلّق. قصة المولد النبوي الشريف. شرح معلقة امرئ القيس. كتاب تاريخ العرب. الفتاوى. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ. مقاصد الشريعة الإسلامية. موجز البلاغة. النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح. النظام الاجتماعي في الإسلام. الوقف وأثره في الإسلام. وقام بتحقيق كثير من الكتب، منها: ديوان بشار بن برد. ديوان النابغة الذبياني، جمع وشرح وتعليق. سرقات المتنبي. الواضح في مشكلات المتنبي.

وفاته: توفي بتونس، يوم الأحد (13) من شهر رجب (12) أوت/آب، سنة (1393هـ/1973م)، ودفن بمقبرة الزلاج.

المبحث الثاني
(الزحافات والعلل في ديوان النابغة الذبياني)

يقع التغيير العروضي في الحشو، ويقع في العروض والضرب، أما الذي يقع في الحشو فيسمى: الزحاف، وأما الذي يقع في العروض والضرب فيسمى: العلة، وهو تغيير يلتزم، ولكل بحر زحاف خاصّ وعلة خاصة به[3].

ويقال للشعر الذي لم يدخله الزحاف: الوافي، وهو "ما استوفى في الاستعمال عدة أجزائه في دائرته، وقيل: هو كل جزءٍ يمكن أن يدخله الزحاف فسلم منه"[4]، ويسمى- أيضًا- التام[5]، ومن هنا أُطلق مصطلح السالم في العروض على كلّ جزءٍ يجوز أن يقع فيه الزحاف ولم يقع؛ فسلم منه[6]. وقد لجأ النابغة الذبياني إلى بعض من أنواع الزحاف والعلة، وتفصيل صنيعه على النحو الآتي:

([3]) ينظر: علم العروض والقافية، تأليف: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص:29.

([4]) لسان العرب، تأليف: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط(3)، 1414ه، مادة، (وفى).

([5]) ينظر: لسان العرب، مادة، (تمم).

([6]) ينظر: لسان العرب، مادة، (سلم).

أ- الخبن: وهو في اللغة الأخذ من الشيء وتقليصه[7].

وعند العروضيين هو: حذف الثاني الساكن من التفعيلة[8].

ومما وقع منه في ديوان النابغة قوله:

لَا أَعْرِفَنْ رَبْرَبًا حُورًا مَدَامِعُهَا ** كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجُ دُوَّارِ[9]

0/0/ -0//0// -0//0/ -0//0/ ** 0/// - 0//0/0/ - 0//0/ - 0//0/0/

هذا البيت من البحر البسيط، وتفعيلات البحر:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ** مستفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن

وتفعيلات البيت بعد التقطيع:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ** متفعلن فاعلن متفعلن فعْلن

فدخل الخبن في (مستفعلن) من الشطر الثاني، وفي (فاعلن) من الشطر الثاني- أيضًا-فصارتا: (متفعلن)، و(فعَلن).

فتحولت التفعيلة (مستفعلن) من: سببين خفيفين ووتد مجموع إلى وتدين مجموعين. وتحولت التفعيلة (فاعلن) من سبب خفيف ووتد مجموع إلى فاصلة صغرى، أي: ثلاث محركات فساكن[10].

ومنه قوله (من رواية أبي جعفر النحاس):

فَقُلْتُ لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ لَبَّتِهَا ** لَا تَحْطِمَنَّكِ أَنَّ الْبَيْعَ قَدْ زَرِمَا[11]

0/// -0//0/0/ ** 0/// -0//0/ -0//0/ -0///

وهذا البيت كسابقه من البحر البسيط، وتفعيلاته بعد التقطيع:

متفعلن فاعلن متفعلن فعلن ** مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

فدخل الخبن في (مستفعلن) من الشطر الأول في الموضعين، وفي (فاعلن) من الشطر الأول والثاني- أيضًا- فصارت: (متفعلن)، و(فعلن).

ب- الخرم/ الثلم: الخرم في اللغة هو: الشق والقطع والثقب[12]، والثلم هو: الكسر، يقال: في الإناء ثَلْمٌ إذا انكسر من شفته شيءٌ، وفي السيف ثلمٌ إذا انكسر[13].

([7]) ينظر: لسان العرب، مادة، (خبن).

([8]) ينظر: الورد الصافي من علمي العروض والقوافي، تأليف: محمد حسن إبراهيم عمري، الدر الفنية للنشر والتوزيع، 1409- 1988م، ص:27، وعلم العروض والقافية، تأليف: عبد العزيز عتيق، ص:98، والمعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، تأليف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط(1)، 1411- 1991م، ص:222.

([9]) ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص:120.

([10]) ينظر: علم العروض والقافية، تأليف: عبد العزيز عتيق، ص:46.

([11]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:219، هامش (3).

([12]) ينظر: لسان العرب، مادة، (خرم).

([13]) ينظر: لسان العرب، مادة، (ثلم).

والخرم في الاصطلاح هو: "إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة"[14]، أو "هو حذف الميم من مفاعيلن ليبقى فاعيلن؛ فينقل إلى مفعولن، ويسمى أخرم"[15].

قال الزمخشري: "ولا يجوز الخرم، عند الأكثر، إلا في الصدر"[16].

قال ابن منظور: "قال الزجاج: من علل الطويل: الخرم، وهو حذف فاء فَعُولُنْ، وهو يسمى الثَّلْمَ، قال وخَرْمُ فَعولُنْ بيته أَثْلَمُ، وخَرْمُ مَفاعِيلن بيته أَعْضَبُ، ويسمى مُتَخَرِّمًا؛ ليُفْصَلَ بين اسم مُنْخَرم مَفاعِيلن، وبين مُنْخَرِمِ أَخْرَم، قال ابن سيده: الخَرْمُ... ذهاب الفاء من فَعولن؛ فيبقى عولُنْ؛ فينقل في التقطيع إلى فَعْلُنْ، قال ولا يكون الخَرْمُ إلا في أول الجزء في البيت"[17].

ومن ذلك في ديوان النابغة قوله:

إِنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ نَفْرَحْ وَنَبْتَهِجْ ** وَيَأْتِ مَعَدًّا مُلْكُهَا وَرَبِيعُهَا[18]

0//0/ -/0// -0/0/0/ -0/0// 0//0/ ** -/0// -0/0/0/ -/0// -0/0/

هذا البيت من البحر الطويل، وتفعيلات البحر:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

وتفعيلات البيت بعد التقطيع:

عولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ** فعول مفاعيلن فعول مفاعلن

فدخل زحاف الخرم (فعولن) في التفعيلة الأولى من الشطر الأول، وذلك بحذف المتحرك الأول؛ فصارت (عولن)[19].

ومنه- أيضا- قوله:

للهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى أَهْلَ قُبَّةٍ ** أَضَرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نافِعَا[20]

0//0/ -/0// -0/0/0/ -0/0// 0//0/ ** -/0// -0/0/0/ -/0// -0/0/

([14]) كتاب القوافي، تأليف: أبي يعلى عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن التنوخي، تحقيق: عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1978م، ص:85، وينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 1424ه- 2004م، ص:46.

([15]) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405ه، ص:132، وينظر: الورد الصافي من علمي العروض والقوافي، ص:32، والمعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص:210، 223- 224.

([16]) القسطاس في علم العروض، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ط(2)، 1410ه- 1989م، ص:61.

([17]) لسان العرب، مادة، (خرم). وينظر: الكافي في العروض والقوافي، تأليف: الخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط(3)، 1415ه- 1994م، ص:27.

([18]) ديوان النابغة الذبياني، ص:173.

([19]) ديوان النابغة الذبياني، ص:173، هامش (2).

([20]) ديوان النابغة الذبياني، ص:175.

هذا البيت كسابقه من البحر الطويل، وتفعيلاته بعد التقطيع:
عولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ** فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن
فدخل زحاف الخرم في (فعولن) في التفعيلة الأولى من الشطرين، وذلك بحذف المتحرك الأول؛ فصارت (عولن)[21].

ج- الطي: وهو في اللغة نقيض النشر، وطويت الصحيفة[22]، أي: لففتها.
وفي الاصطلاح هو: "حذف الرابع الساكن، كحذف فاء مستفعلن ليبقى مستعلن؛ فينقل إلى مفتعلن، ويسمى مطويًّا"[23].
ومن ذلك في ديوان النابغة:
مَارِيَةٌ مِثْلَ مَرْيِ الدَّلْوِ مُرْكِضَةٌ ** إِذَا الْحَمِيمُ عَلَى الْأَعْطَافِ يَنْحَلِبُ[24]
0/// -0//0/0- /0//0- -0///0/ -0//0/0- /0// ** 0/// -0//0/0- /0//0- -0///0/
والبيت من البحر البسيط، وتفعيلاته بعد التقطيع:
مفتعلن فاعلن مستفعلن فعلن ** متفعلن فعلن مستفعلن فعلن
فدخل الطي في (مستفعلن)[25]؛ فصارت (مستعلن)؛ فتنقل إلى (مفتعلن).
ومنه قوله:
أَوْ أَضَعُ الْبَيْتَ فِي سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٍ ** تُقَيِّدُ الْعَيْرَ لَا يَسْرِي بِهَا السَّارِي[26]
0/0/ -0//0/0- /0//0- -0///0/ -0//0/0- /0// ** 0/// -0//0/0- /0//0- -0///0/
مفتعلن فاعلن مستفعلن فعلن ** متفعلن فاعلن مستفعلن فاعلْ
فدخل الطي في (مستفعلن)[27]؛ فصارت (مستعلن)؛ فتنقل إلى (مفتعلن).
ومنه قوله (رواية عاصم البطليوسي وأبي جعفر النحاس):
قُلْتُ لَهَا وَهْيَ تَسْعَى تَحْتَ لَبَّتِهَا ** لَا تَحْطِمَنَّكِ أَنَّ الْبَيْعَ قَدْ زَرِمَا[28]
0/// -0//0/0- /0//0- -0///0/ -0//0/0- /0// ** 0/// -0//0/0- /0//0- -0///0/
وهذا البيت كسابقه من البحر البسيط، وتفعيلاته بعد التقطيع:
مفتعلن فاعلن مستفعلن فعلن ** مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن
فدخل الطي[29] في (مستفعلن) الأولى من الشطر الأول؛ فصارت: (مستعلن)، فتنقل إلى (مفتعلن).

([21]) ديوان النابغة الذبياني، ص:175، هامش (1).
([22]) ينظر: لسان العرب، مادة، (طوى).
([23]) التعريفات، ص:184، وينظر: الكافي في العروض والقوافي، ص:43- 44، والورد الصافي في علمي العروض والقوافي، ص:28، والمعجم المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر، ص:326.
([24]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:60.
([25]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:60، هامش (5).
([26]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:122.
([27]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:122، هامش (1).
([28]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:219.

ومنه قوله:

كَأَنَّ فِي مِصْعَدٍ مِنْ صِهْرِهِمْ خَلَفٌ ** مُخْرِبُ بَيْتِ الْغِنَى وَمُورِثُ الْعَدَمِ[30]

//0/0- -0//0/ -0//0/0- ///0 ** /0/0//-0/0//-0/0//- ///0

هذا البيت كسابقه من البحر البسيط، وتفعيلاته بعد التقطيع:

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ** مفتعلن فاعلن متفعلن فعلن

فدخل الطي[31] في (مستفعلن) من الشطر الثاني؛ فصارت: (مستعلن)، فتنقل إلى (مفتعلن).

المبحث الثالث

(عيوب القافية في ديوان النابغة الذبياني)

لم أرَ في ديوان النابغة من عيوب القافية سوى عيب (الإقواء)، وهو معروف شهير عن النابغة، وقد وقع فيه في أكثر من موضع.

والإقواء في اللغة مأخوذ من: أَقْوَى فلان حبله، وهو أن يرخِي قُوَّة- أي: خصلة أو بعض الفتل- وتُغير قوَّة، فلا يلبثُ الحبل أن يتَقَطَّع[32].

وفي الاصطلاح هو: "اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر وضم"[33]. وكان الخليل يسمي هذا العيب بـ(المُقْعَد)، وهذا غير الزحاف، فالمقعد عيبٌ في الشعر، والزحاف ليس بعيب[34].

ومن الأبيات التي ورد فيها الإقواء في ديوان النابغة، قوله:

أَفِدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ** لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ

زَعَمَ الْغُدافُ بِأَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ** وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ[35]

ويكرر ذلك في القصيدة نفسها فيقول:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ** فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ ** عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ[36]

([29]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:219، هامش (3).

([30]) ديوان النابغة الذبياني، ص:246.

([31]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ص:246، هامش (1).

([32]) ينظر: لسان العرب، مادة، (قوا).

([33]) ينظر علم العروض والقافية، تأليف: عبد العزيز عتيق، ص:167، والمعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص:60.

([34]) ينظر: لسان العرب، مادة، (قعد).

([35]) ديوان النابغة الذبياني، ص:93.

([36]) ديوان النابغة الذبياني، ص:97.

فرفع كلمتي (الأسود) و(يعقد) وخالف حركة حرف القافية، وهو مخفوض في جميع القصيدة[37].

ومن الأبيات التي أقوى فيها النابغة قوله:

إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ ** مِنْ أَجْلِ بَغْضَائِهِمْ يَوْمٌ كَأَيَّامِ

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ** لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامُ[38]

فرفع كلمة (إظلام)، والقصيدة مخفوضة حركة الروي بأكملها[39].

قال الأخفش: "وقد سمعتُ مثلَ هذا من العرب كثيرًا ما لا يحصى، قلَّ قصيدةٌ ينشدونها إلا وفيها الإقواء، ثم لا يستنكرونه؛ وذلك لأنه لا يكسر الشعر، وكل بيتٍ منها شعرٌ على حياله"[40].

(الخاتمة)

بعد هذه الجولة في ديوان النابغة الذبياني، وتتبع الملامح العروضية التي ذكرها ابن عاشور في تعليقه على الديوان، أذكر بعض النتائج التي ظهرت لي من خلال جمعي لهذه الملامح والتعليق عليها، وهي:

1- ما زال ديوان النابغة الذبياني أرضًا خصبة للبحث والدراسة، على الرغم من الشروح والتعليقات والتحقيقات التي عليه.

2- أن الشاعر له فسحة في التغيير التفعيلي (الزحافات والعلل) للبحر الذي ينظم عليه شعره.

3- أن بعض ما يعد عيبًا في علم العروض والقوافي- كالإقواء مثلًا- هو موجود في كثير من القصائد.

4- أن الإقواء لا يكسر الشعر؛ لأن كل بيت في القصيدة يعد شعرًا بحاله، كما قال الأخفش.

([37]) ديوان النابغة الذبياني، ص:93، هامش (2)، وص:97، هامش (1).

([38]) ديوان النابغة الذبياني، ص:229.

([39]) ديوان النابغة الذبياني، ص:229، هامش (4).

([40]) ينظر: كتاب القوافي، تأليف: أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1390ه- 1970م، ص:42.

المصادر والمراجع

- الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط(15)، 2002م.
- الأغاني، تأليف: أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط(2)، (د.ت).
- تراجم المؤلفين التونسيين، تأليف: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط(2)، 1994م.
- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1)، 1405هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(4)، 1418هـ/1997م.
- ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول-تركيا، 2010م.
- الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
- طبقات فحول الشعراء، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت).
- علم العروض والقافية، تأليف: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
- القسطاس في علم العروض، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ط(2)، 1410هـ/1989م.
- الكافي في العروض والقوافي، تأليف: الخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط(3)، 1415هـ/1994م.
- كتاب القوافي، تأليف: أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1390هـ/1970م.

- كتاب القوافي، تأليف: أبي يعلى عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن التنوخي، تحقيق: عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي بمصر، ط(2)، 1978م.
- لسان العرب، تأليف: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط(3)، 1414هـ.
- المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، تأليف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط(1)، 1411هـ/1991م.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط(1)، 1424هـ/2004م.
- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، وبذيله: عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، تأليف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط(1)، 1427هـ/2006م.
- الورد الصافي من علمي العروض والقوافي، تأليف: محمد حسن إبراهيم عمري، الدر الفنية للنشر والتوزيع، 1409هـ/1988م.